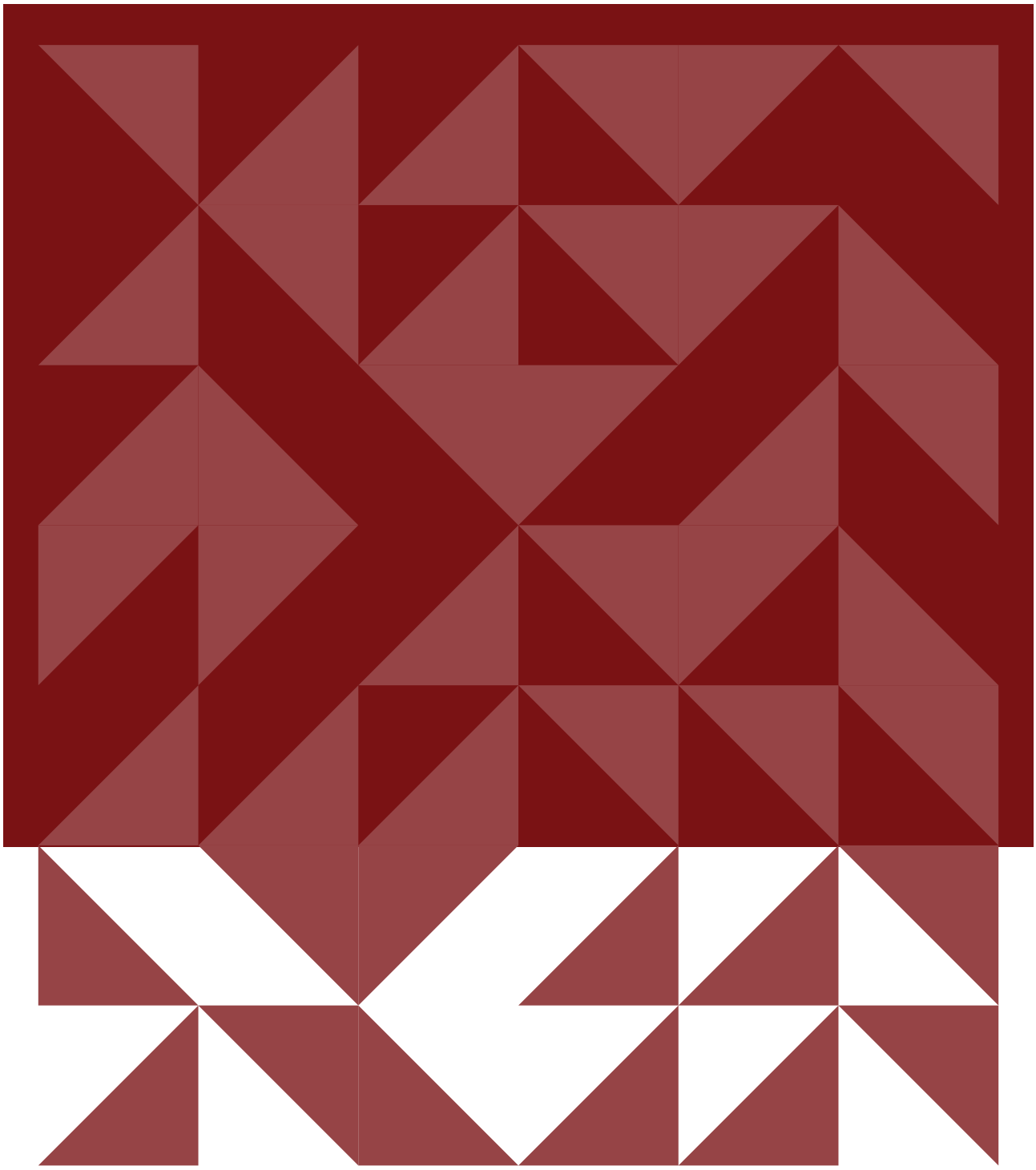

نمط متكرر:

كيف سترد إيران على اغتيال إسماعيل هنية؟

مركز الجبتور للأبحاث

تقديرات استراتيجية

أغسطس 2024

يحبس العالم أنفاسه مُنذ 31 يوليو 2024، في انتظار الرد الإيراني على اغتيال إسرائيل لإسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في طهران، وذلك أثناء مُشاركته في مراسم تنصيب الرئيس الإيراني، مسعود بزكشيان، ما يُعتبر انتهاكًا صارخًا للسيادة الإيرانية من جهة، وتحديًا لقيادتها الإقليمية لحركات المُمانعة ضد ما تعتبره هيمنة الولايات المُتحدة وإسرائيل على دول المنطقة من جهة أخرى، الأمر الذي يعتبر معه العالم الرد الإيراني مفروغًا منه في ظل الارتفاع غير المسبوق لسقف المواجهة بين الدولتين، خصوصًا أن هذا الاغتيال جاء ضمن سلسلة من الاغتيالات لرموز محور المُمانعة، فقبل ساعات فقط من الانفجار في طهران، نفذت إسرائيل هجومًا صاروخيًا في الضاحية الجنوبية لبيروت، اغتالت خلاله فؤاد شكر أعلى مسؤول عسكري في حزب الله، بعدما ادعت -دون تأكيد- اغتيال محمد الضيف القائد العسكري لحماس.

وبرغم الاتفاق على حتمية الرد، فإن اختلافًا حادًا حول طريقته يسود الأوساط السياسية والعسكرية، خصوصًا في ظل نمط الاستهدافات الإسرائيلية التي تستوجب ردًا إيرانيًا مُباشرًا لاستعادة قدرات الردع المفقودة، وامتلاك إيران من جانب آخر لوكلاء لديهم قُدرات الرد بدلًا منها، بما يُجنبها التكلفة العسكرية والاقتصادية للرد المُباشر، وعلى وجه أكثر تحديدًا بعدما أعلنت الولايات المُتحدة الأمريكية عن أنها ستُشارك بقواتها في الدفاع مُباشرة عن إسرائيل في حالة تنفيذ هجوم إيراني، وهو ما يُعد تأكيدًا لموقفها السابق من الهجمات الصاروخية الإيرانية على إسرائيل في إبريل الماضي.

إلا أننا نعتقد أن ما قد يُسهل توقع طبيعة الرد، هو دراسة نمط الردود الإيرانية السابقة على ذات النوعية من الاعتداءات، خصوصًا في ظل التاريخ الإيراني الحافل بالمواجهات مع دول جوارها بعد الثورة في سبعينيات القرن الماضي، والعداء المُباشر مع الولايات المُتحدة مُنذ ذلك الحين، ومن بين هذه المواجهات وأكثرها تشابهًا مع الوضع الحالي، هو ما بات يُعرف الآن بحرب الناقلات التي دارت رحاها بين إيران والعراق خلال الفترة من ١٩٨٤ وحتى ١٩٨٨، واستدرجت خلالها الولايات المُتحدة لتضطر للانخراط في عملية عسكرية واسعة ضد القوات الإيرانية في الخليج العربي، على نحو ما سنصف لاحقًا.

لذا تسعي الورقة الراهنة إلى إجراء تحليل معمق لأوجه التشابه والاختلاف بين الوضع الراهن والوضع السابق "تحديداً خلال حرب الناقلات" فيما يتعلق بديناميكيات المواجهة بين إيران والقوى التي تصطدم بها، وموقف الولايات المُتحدة حيال هذه الصدامات، ما يُسهل توقعات الرد الإيراني في ظل إجمالي هذه المُتغيرات.

أولًا - حرب الناقلات (Tanker War)

في أوائل عام ١٩٨٤ وفي خضم الحرب العراقية الإيرانية، عزز العراق من استهدافه للبُنى التحتية النفطية الإيرانية، بمهاجمة ناقلات نفط ومحطة تفريغ في جزيرة خرج، وهي المرفق الرئيسي لتصدير النفط الإيراني وقتئذ، مُستهدفًا استفزاز إيران للرد بإغلاق مضيق هرمز، مما قد يؤدي إلى تدخل أجنبي ضدها، و أعلن العراق أن جميع السفن المتجهة من أو إلى الموانئ الإيرانية في شمال الخليج العربي ستكون عرضة للهجوم، عن طريق مقاتلات سلاح الجو العراقي ومروحياته وصواريخه، ورداً على ذلك، هاجمت إيران ناقلات الدول الخليجية خصوصًا الكويتية والسعودية التي كانت تحمل النفط العراقي، ما هدد بإعاقة النفط عن الوصول للأسواق الدولية، واستدعى تدخلًا من الولايات المُتحدة في الخليج العربي لضمان أمن الناقلات، وسلامة وصول النفط لمناطق استهلاكه، وخاصة مع استهداف الهجمات لناقلات الدول المحايدة في محاولة لحرمان كلاً منهما من عوائد تجارة النفط.

هذا وقد لعبت الولايات المتحدة دوراً محورياً في حرب الناقلات، فبداية عملت الولايات المُتحدة على توفير الحماية عبر مصاحبة سُفنها الحربية ناقلات النفط العربية في مياه الخليج وصولًا إلى البحر الأحمر، لكن ذلك لم يُجدي نفعًا، حيث تزايدت الهجمات الإيرانية بمرور الوقت لتصل في عام ١٩٨٧ إلى ٩١ استهدافاً وإصابة، بعدما كانت قد اكتفت بنحو ٥٣ هجمة في ١٩٨٤، الأمر الذي حفز الولايات المُتحدة لاتخاذ مزيد من الإجراءات الحمائية التي وصلت ذروتها عندما اتخذت خطوة حاسمة بتغيير أعلام ناقلات النفط الكويتية إلى أعلام أمريكية بما أتاح قدرًا غير مسبوق من الحماية للناقلات الكويتية إذ جعلها مؤهلة لمرافقة بحرية عسكرية فعالة.

وعقب تغيير الأعلام، أطلقت الولايات المتحدة عملية "إيرنست ويل Operation Earnest Will " التي هدفت إلى ضمان حرية الملاحة في الخليج، وشملت نشر قوات بحرية أمريكية لمرافقة الناقلات التي تم تغيير أعلامها وحمايتها من الأعمال العدائية الإيرانية لتشهد هذه العملية دخول البحرية الأمريكية في مواجهات عدة مع القوات الإيرانية، ما شكل تصعيداً كبيراً للأحداث، وصل ذروته حينما تعرضت الفرقاطة يو إس إس صامويل بي روبرتس USS Samuel B. Rob-erts للإصابة بعدما اصطدمت بلغم بحري إيراني في ١٤ أبريل ١٩٨٨، وتسبب الانفجار في أضرار جسيمة مُدمرة، أصيب خلالها عشرة من أفراد الطاقم، وسلط الحادث الضوء على مخاطر العمليات البحرية الأمريكية في المياه الملغومة للشرق الأوسط.

اضطر ذلك الحادث الولايات المُتحدة الأمريكية إلى إطلاق عملية فرس النبي Operation Pray-ing Mantis انتقامًا من إيران في الخليج العربي، بغرض تدمير الأصول البحرية الإيرانية ومنصات النفط التي تُستخدم لأغراض عسكرية، بالإضافة إلى إغراق سُفن حربية إيرانية، وخاصة تلك التي تُستخدم في تنفيذ الهجمات ضد تجارة النفط، هذا وقد نجحت القوات الأمريكية في إغراق الفرقاطة الإيرانية "سهند" وزورق المدفعية "جوشن"، وتدمير منصتي نفط إيرانيتين،

وإلحاق أضرار بعدة سفن أخرى، ساهمت هذه العملية في الضغط على إيران للموافقة على وقف إطلاق النار مع العراق في وقت لاحق من ذات العام، ما أنهى الحرب العراقية الإيرانية، وقد شكلت هذه العملية أكبر اشتباك سطحي للبحرية الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية وأول تبادل للصواريخ المضادة للسُفن بين القوات الأمريكية والإيرانية.

ثانيًا - بين الماضي والحاضر .. هل هناك إختلاف؟

يُمكن تلخيص التشابه والاختلاف بين الوضع القائم في المنطقة بعد اغتيال إسماعيل هنية وإبان حرب الناقلات، من أربع جوانب أولها أن إيران هي من تلقت الضربة التي تستوجب الرد، وذلك بعدما بدأ العراق في تهديد أهم مصادر الدخل القومي الإيراني خلال ثمانينيات القرن الماضي، عبر مُحاولته إعاقة تصدير النفط، ومنع جميع السفن المتجهة من أو إلى الموانئ الإيرانية في شمال الخليج من الوصول لمُنشآت تحميل النفط الإيراني أو المُغادرة سالمة به، بما يُعتبر تهديدًا مُباشرًا وحادًا للأمن القومي الإيراني، وهو ما يُشبه الوضع الراهن بعد اغتيال هنية داخل الأراضي الإيرانية في حماية الحرس الثوري وداخل أحد أهم مُنشآته تحصينًا، ما أجبرها إبان حرب الناقلات ويفرض عليها في الوقت الحالي ردًا حاسمًا يدفع هذا التهديد.

يأتي التشابه الثاني من الداخل الإيراني ذاته الذي يواجه حاليًا اضطرابًا حادًا بسبب العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يفرضها النظام على البلاد، وهو وضع مُشابه "نسبيًا" للوضع إبان حرب الناقلات التي تزامنت مع ما فرضته الثورة الإسلامية من إعادة تشكيل على المُجتمع الإيراني، وما صاحب ذلك من صعود طبقات وانهيار أخرى، وتدخل القوى الموالية للمُرشد الأعلى لفرض أجندته كاملة على القوى المُناهضة له في ذلك الوقت، إضافة إلى أوضاع اقتصادية مضغوطة بسبب الحرب التي كانت تستنزف الاقتصاد الإيراني لمُدة أربع سنوات مُستمرة.

فيما ينبع التشابه الثالث من قُدرة الخصم على تكبيد إيران ضرر أكبر، نسبةً إلى ما تستطيع القدرات الإيرانية إحداثه، حيث تستطيع إسرائيل في الوقت الحالي مُهاجمة إيران عبر عملائها، هدفه النيل من بعض أهم الشخصيات السياسية والعلمية والعسكرية سواء من داخل الأراضي الإيرانية أو خارجها، أو عبر قُدراتها العسكرية التي استطاعت ضرب قاعدة عسكرية للدفاع الجوي في أصفهان قُرب أهم المُنشآت النووية الإيرانية، بما يُمثل تخطيًا لكل خطوط الدفاع الإيرانية، الوضع ذاته كان قائمًا ضد العراق الذي امتلك أسلحة أكثر تقدُمًا من تلك التي امتلكتها إيران، جعلته يعتقد أن استهدافه للسُفن الإيرانية سيمر دون عقاب بسبب غياب القُدرات الإيرانية المُكافئة التي تستطيع تكبيده ذات الخسائر.

أما التشابه الرابع و الأهم فيكمُن في الدور الأمريكي الذي تعهد بالدفاع عن إسرائيل حال شن إيران أو وكلائها هجومًا ضدها، فيما نفذ بالفعل -على نحو ما سبق بيانه- عمليات حماية للناقلات العربية، بل واتخذ إجراءات تصاعدت مع تصاعد الإصرار الإيراني، تمثلت في رفع الأعلام الأمريكية عليها، ما أخضعها مُباشرة للسيادة الأمريكية، وأخيرًا عرض القطع البحرية الأمريكية لاعتداء مُباشر، اضطرها لهجوم موسع على المُنشآت والمُعدات العسكرية الإيرانية في عملية فرس النبي.

لا تعني التشابهات السابقة -بالطبع- تطابق الحالتين دون اختلاف، بل على العكس تتعدد الاختلافات، لكنها على تعددها تفيد غرض هذا التحليل من حيث تعزيز فهم السلوك الإيراني المتوقع تجاه التحدي القائم، ولعل أهم هذه الاختلافات هو الوكلاء الذين باتت تمتلكهم إيران، ويحيطون في الوقت الحالي بالخصم، بل وانخرط بعضهم في حروب مُباشرة معه كبده خلالها خسائر واضحة لا يُمكن التغاضي عنها (حماس على سبيل المثال)، والتي تواجه إسرائيل مُنذ تسعة أشهر، ومازال في المعركة، وتعجز الآلة العسكرية الإسرائيلية عن القضاء عليه أو حتى تحقيق نصر استراتيجي ضده، جديرٌ بالذكر كذلك المواجهة الأخيرة لإسرائيل مع حزب الله اللبناني خلال عام ٢٠٠٦ والتي مازال يطلق عليها في الأوساط الإسرائيلية حتي الآن المُستنقع اللبناني Lebanese Mud، والتي خرجت القوات الإسرائيلية منها كذلك خالية الوفاض دونما انتصار حقيقي، جعلها حتى الآن تتريث قبل ولوجه مرة أخرى، برغم تعدد الهجمات على الداخل الإسرائيلي ليتجاوز تعدادها المئات مُنذ السابع من أكتوبر.

من جانب أخر يبدو الوضع الداخلي الإيراني على الرغم من عدم استقراره في الحالتين مُختلفًا، إذ يُعاني المُجتمع الآن انقسامًا حادًا خلال طبقاته، بين مؤيد تام للنظام في توجهاته المُحافظة، فيما تسعى فئات واسعة أخري إلى تغيير هذا الوضع والحصول على قدر أكبر من الحريات العامة ما سبب عدد من الاضطرابات كان أخرها ذلك الذي أسفر عنه مقتل "مهسا أميني" في سبتمبر ٢٠٢٢، أما على الصعيد الاقتصادي فإنه برغم الصعوبات التي عانها الاقتصاد الإيراني إبان حرب الناقلات ويُعانيها في الوقت الحالي إلا أن إدراك المُجتمع الإيراني لكلاهما مُختلف تمامًا، إذ نظر الإيرانيين إلى الحرب العراقية الإيرانية على أنها حرب تحرر وكرامة وطنية، فيما تنظر فئات واسعة من المجتمع الإيراني للأحداث الحالية في سياقها العريض على أنها نتيجة غير مرغوبة لسلوك النظام "غير المحسوب" في المنطقة، ما كان ينبغي تجنبه، الأمر الذي يجد مظاهره في قيام فئات مُتعددة عبر الأقاليم المختلفة لفترات مُستمرة مُنذ ٢٠١٩ -على الأقل- بالتظاهر بدوافع اقتصادية احتجاجًا على ضيق العيش وتردي الأحوال الحياتية، أخيرًا فإنه لا يُمكن تجاهل توظيف النظام الإيراني للحرب الإيرانية العراقية لتحقيق إجماع وطني يغيب الآن، ويصعُب على السُلطات الإيرانية في الوقت الحالي تحقيقه بعد ما يزيد عن أربعين عامًا من عقوبات بلا جدوى، لا يُمكن تسويقها للمُجتمع.

على صعيد القدرات العسكرية الإيرانية يوجد كذلك اختلاف عميق، حيث أثرت عمليات تطهير الجيش الإيراني التي حدثت في أعقاب الثورة الإسلامية على فعاليته خلال الحرب الإيرانية العراقية بشكل واضح، وإتخذ النظام هذه الإجراءات كشكل من أشكال "الحماية الاستباقية ضد الانقلابات" لضمان استقرار النظام، تضمنت الإجراءات تقسيم الجيش إلى قوى متنافسة، وإنشاء قوات موازية، وتناوب المناصب القيادية بشكل متكرر، وتنحية الضباط العسكريين من ذوي الخبرة والنخب ممن قد يتحدون القيادة الجديدة، وعلى الرغم من التحديات التي فرضتها استراتيجيات الثورة على الجيش، تمكنت إيران من الحفاظ على أدائها في المعارك الرئيسية عبر انتهاج قواعد حرب العصابات والحرب غير المتماثلة، والتي عوضت إلي مدى بعيد نقص القدرات التقليدية والخبرات لديها، الوضع الآن على النقيض حيث تبدو القوات الإيرانية في ذروة استعدادها بعد المعارك التي عملت خلالها في جبهات سوريا واليمن ولبنان خلال السنوات العشر الماضية، ما أكسبها خبرات واسعة، وأتاح لها تطوير مُسيراتها وبرامجها الصاروخية بالقدر الذي مكنها من التدخل، وجعلها هدفًا للنقد الحاد من الدول الغربية الداعمة لأوكرانيا.

لا يُمكن كذلك التغاضي عن السياق الإقليمي لكلا الحربين، فبينما كانت إيران خلال حرب الناقلات تواجه الإقليم بالكامل، مُباشرة مع العراق ومن خلفها دول الخليج التي قدمت الدعم الاقتصادي له، وبالتالي كانت دول الجوار بكاملها راغبة في تقديم الدعم العسكري واللوجيستي للعراق في ذلك الوقت، كونه بدا كمُدافع عن المنطقة ضد الخطر الإيراني الوشيك وتصدير الثورة المُعلن، على العكس فإن دول الإقليم في الوقت الحالي اتخذت مبدأ الحياد بين طرفين يجمع بينهما تناقضات أكبر من المصالح في مُعظم القضايا، وتحاول دول المنطقة في ذات الوقت تصفير المشاكل معهما، حيث دخلت دول الخليج في مُصالحة غير مكتملة مع إيران، وبعضها أعلن بالفعل تطبيع العلاقات مع إسرائيل، فيما البعض الأخر في طور التفاوض للتوصل إليها، بالتالي فإن الإقليم في حالة حياد تجاه إيران حتى الآن، حيث لا ترغب دول المنطقة الدخول في مُغامرات عسكرية غير حتمية، تعرض إنجازاتها الاقتصادية للخطر، دونما عوائد فعلية.

تأخذنا نُقطة الحياد الإقليمي إلى اختلاف آخر وهو عدم الجوار بين إيران وإسرائيل، عكس الحال مع العراق الذي كانت مُقدراته على بُعد مرمى حجر من المدفعية والطائرات الإيرانية، بما كان يسهل معه الرد على كل خطوة دونما جر المزيد من الخصوم للمعركة، فيما إسرائيل لا يُمكن الوصول إليها بالقُدرات الإيرانية الجوية الذاتية إلا عبر المرور في أجواء عدد آخر من الدول الذي لا يأمن النوايا الإيرانية أساسًا ويتحسب أن يطاله الرد الإيراني، وبالتالي فإن الصواريخ والمُسيرات الإيرانية ستعبر أولًا سماء دول الخليج العربي أو الأردن التي تحوذ جميعها أفضل أنظمة الدفاع الجوي الغربية، ولن يكون أيًا منها راغبًا في ترك الأسلحة الإيرانية تخترق سمائه دون إسقاط، يفرض ذلك تحديًا آخر لحسابات الرد لدى إيران، خصوصًا في ظل الهجمة الصاروخية الأخيرة التي وصل أقل من ١٠٪ منها إلى الأراضي الإسرائيلية.

أخيرًا فإن السياق العالمي الحالي يختلف كُليًا عما كان عليه خلال حرب الناقلات عندما كانت إيران شبه معزولة عالميًا دون شركاء دوليين حقيقيين، عكس الوضع الحالي الذي تبدو إيران فيه ضمن "محور مُمانعة" عالمي يُشكل المُحرك الأساسي لنظام عالمي يبدو على وشك التشكل، ما يجعل قُطبي هذا المحور الكبيرين: الصين وروسيا، غير راغبين في خسارة إيران بقدراتها الاقتصادية والعسكرية التي قد تكون حاسمة وقت النزاع الفعلي، ولذلك فقدت تلقت طهران زيارة هامة للغاية من رئيس مجلس الأمن القومي الروسي في ظل استعدادها لتنفيذ ردها ضد إسرائيل، رغم انشغال الضيف بمعارك بلاده المُحتدمة على الجبهة الأوكرانية.

الاختلافات إذن بقدر التشابهات، ولعل استعراضًا سريعًا لها يزيد من الفهم للسلوك الإيراني المُتوقع، وهو ما يحاول الجدول التالي توضيحه:

المعيار	حرب الناقلات	الوضع الحالي
الوضع الإيراني	• **المشهد السياسي:** خلال حرب الناقلات كانت إيران تحت قيادة آية الله الخميني في أعقاب الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، والتي أدت إلى اضطرابات سياسية كبيرة، وتأسيس نظام ثيوقراطي، كما كانت البلاد معزولة دوليًا، وتواجه عقوبات اقتصادية وتحديات عسكر ية . • **القدرة العسكرية:** جرى إضعاف الجيش الإيراني بشكل كبير بسبب عمليات التطهير التي أعقبت الثورة، مما أدى إلى الافتقار إلى القيادة ذات الخبرة والقدرة التشغيلية، وكان على الجيش الإيراني أن يعتمد على تكتيكات غير تقليدية وحرب العصابات، خاصة في العمليات البحرية. • **العلاقات الدولية:** كانت إيران معزولة إلى حد كبير، مع دعم محدود من الدول الأجنبية. وقد تلقى خصمها الرئيسي، العراق، دعمًا كبيرًا من الولايات المتحدة ودول غربية أخرى، مما أدى إلى تعقيد موقف إيران.	• **المشهد السياسي:** لا تزال إيران دولة ثيوقراطية، لكنها طورت مشهدًا سياسيًا أكثر تعقيدًا، حيث تؤثر الفصائل المختلفة على السياسات الخارجية والداخلية، ويواجه النظام معارضة داخلية وتحديات اقتصادية بسبب العقوبات المستمرة والعزلة الدولية. • **القدرة العسكرية:** عززت إيران قدراتها العسكرية بشكل كبير منذ الثمانينيات، حيث طورت برنامجًا صاروخيًا قويًا وتكتيكات حربية غير متكافئة من خلال وكلائها في المنطقة، مثل حزب الله. كما قامت البحرية الإيرانية بتطوير قدراتها العملياتية في الخليج. • **العلاقات الدولية:** علاقات إيران مع القوى الإقليمية أكثر تعقيداً، حيث تشكل التحالفات والعداوات تصرفاتها. فهي لا تزال لاعبًا مثيرًا للجدل في الجغرافيا السياسية في الشرق الأوسط، وغالبًا ما تكون على خلاف مع الولايات المتحدة وحلفائها.

الخصم	• **المشهد السياسي:** سعى العراق في عهد صدام حسين، إلى توسيع نفوذه في المنطقة، والرغبة في تأكيد الهيمنة، مما أدى إلى استمرار الحرب الإيرانية العراقية لفترة طويلة. • **العلاقات الدولية:** كان يُنظر إلى العراق على أنه حصن المنطقة ضد النفوذ الإيراني، ويحظى بدعم إقليمي تام.	• **المشهد السياسي:** تروج إسرائيل لنفسها كدولة ديمقراطية، تنخرط في صراعات مُتكررة مع مُحيطها الإقليمي خصوصًا في الفترات الأخيرة من وكلاء إيران. • **العلاقات الدولية:** لدى إسرائيل علاقات قوية مع الولايات المتحدة، وقد قامت مؤخرًا بتطبيع العلاقات مع العديد من الدول العربية، لكنها في خضم صراع مع حماس، يؤثر بشكل كامل على هذه العلاقات، بسبب انتهاكات حقوق الإنسان وما يُشبه الإبادة الجماعية للفلسطينيين.
القدرات العسكرية للخصم	• **التكوين:** في بداية الحرب العراقية الإيرانية، امتلك العراق جيش جيد التنظيم يضم حوالي ٢٧٠٠ دبابة و٣٣٢ طائرة مقاتلة. وبحلول عام ١٩٨٧، قام العراق بتطوير جيشه بشكل كبير، حيث أصبح يضم أكثر من ٤٥٠٠ دبابة وأكثر من ٥٠٠ طائرة مقاتلة. كان للجيش العراقي أيضًا تواجد مدفعي كبير، مع تقديرات بأكثر من ٤٠٠٠ قطعة مدفعية بحلول نهاية الحرب. • **الدعم والموارد:** تلقى العراق دعمًا عسكريًا كبيرًا من دول مختلفة، بما في ذلك الولايات المتحدة وفرنسا والاتحاد السوفييتي، الذي قدم أسلحة متقدمة ومعلومات استخباراتية. وقد مكّن هذا الدعم العراق من الحفاظ على نهج عسكري أكثر تقليدية، وذلك باستخدام الأسلحة الكيميائية والتكنولوجيا العسكرية المتطورة لتحقيق التفوق على إيران. • **الاستراتيجية العملياتية:** استخدم العراق مزيجًا من تكتيكات الحرب التقليدية والأسلحة الكيميائية، خاصة في هجماته، وظل الهيكل العسكري مُستقرًا طوال فترة الحرب، مما سمح بزيادة فعالية القيادة والسيطرة على أركانه.	• **التكوين:** تمتلك إسرائيل واحدًا من أكثر الجيوش تقدمًا في العالم، مع تكنولوجيا متطورة، بما في ذلك أنظمة دفاع جوي متطورة (مثل القبة الحديدية والسهم ومقلاع داود)، وطائرات مقاتلة متقدمة (مثل F-٣٥)، وجيش مدرب جيدًا، وتتعزز القدرات العسكرية الإسرائيلية من خلال المساعدات والتعاون العسكريين الأميركيين المُستمرين لنحو ٥٠ عامًا. • **الدعم والموارد:** وفر الدعم العسكري الأمريكي، تطور للقدرات العملياتية لإسرائيل ووفر إمكانية دائمة للوصول إلى الأسلحة المتقدمةوالمعلوماتالاستخبارية. • **الاستراتيجية العملياتية:** تستخدم إسرائيل مبدأ الضربات الاستباقية والرد السريع على التهديدات المُرتقبة، ويركز جيش الإسرائيلي على الحفاظ على التفوق التكنولوجي على جميع نظرائه في المنطقة.

التعهد الأمريكي بالحماية	• خلال حرب الناقلات، تعهدت الولايات المتحدة بحماية الملاحة البحرية في الخليج العربي، خاصة بعد الهجمات الإيرانية على ناقلات النفط. وبلغ ذلك ذروته في عملية فرس النبي، حينما دخلت في حرب مُباشرة مع إيران نتيجة هذا التعهد.	• يُعتبر التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل حجر الزاوية في سياستها الخارجية في الشرق الأوسط، ويشمل ذلك المساعدات العسكرية والأسلحة المتقدمة والدعم الدبلوماسي. كما أكدت الولايات المتحدة باستمرار التزامها التام بأمن إسرائيل، بما يجب معه تعزيز حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها .

ثالثًا - نمط العمليات العسكرية الإيرانية خلال حرب الناقلات:

بدأ العراق أول هجماته على ناقلات النفط الإيرانية مُبكرًا مع البدايات الأولى للحرب العراقية الإيرانية ذاتها وذلك في عام ١٩٨١، وذلك بعدد ٥ حاملات نفط خلال عام كامل، واستمر في هجماته خلال العامين التاليين ليصل إلى إجمالي ٢٢ هجمة في ١٩٨٢ و١٦ هجمة خلال ١٩٨٣، وخلال هذه الأعوام الثلاثة لم تمتلك إيران قُدرات استهداف السُفن العراقية، ولذلك لم تُستهدف للعراق سفينة واحدة، كما يوضح الشكل التالي:

تعداد هجمات الطرفين خلال الحرب

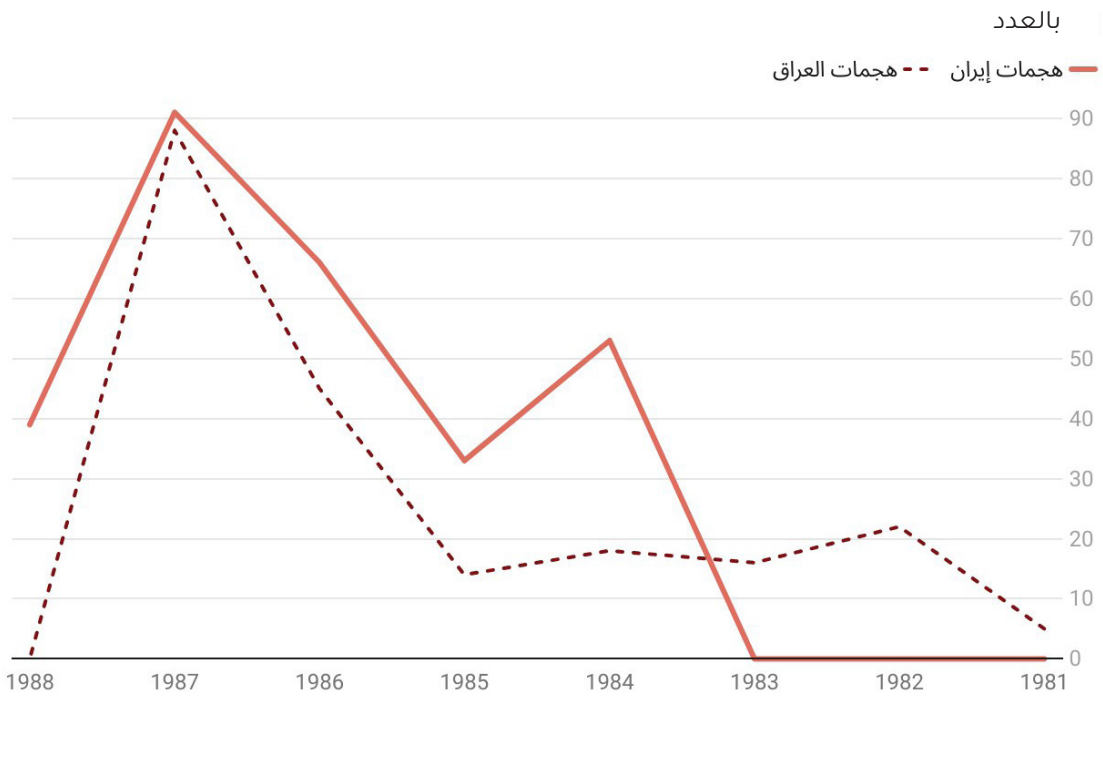

المصدر: The Lessons Modern War - Volume II - The Iran-Iraq War - Chapter 14:The Tanker War

يوضح الشكل أن الهجمات الإيرانية تراجعت حتى عام ١٩٨٤، لهذا يؤرخ لحرب الناقلات بداية من ذلك العام، حيث كانت قبلها عبارة عن هجمات عراقية من طرف واحد، لكن ما إن بدأت إيران تنخرط في المعركة حتى تزايد عدد هجماتها عن الهجمات العراقية بوتيرة سريعة للغاية حتى أن هجماتها خلال العام الأول زادت عن ثلاث أضعافها لتسجل ٥٣ هجمة في مُقابل ١٨ هجمة عراقية فقط خلال العام، تصاعد نمط الهجمات الإيرانية ليصل ذروته خلال عام ١٩٨٧ بنحو ٩١ هجمة، أي بمتوسط هجمة كل أربعة أيام خلال عام كامل، المُثير للانتباه أن الهجمات العراقية توقفت خلال العام الأخير فيما استمرت الهجمات الإيرانية تمامًا في سيناريو معكوس للكيفية التي بدأت بها الحرب، لتنتهي الحرب بتسجيل الإيرانيين عدد أكبر من الهجمات بنحو ٢٨٢ هجمة في مُقابل ٢٠٨ للعراقيين، وذلك بزيادة قدرها ٣٦٪ عن إجمالي الهجمات العراقية خلال مدة الحرب.

ترجع هذه التطورات الدراماتيكية في مسار الحرب إلى عاملين أساسين أنه قبل العام ١٩٨٤ افتقرت إيران إلى الموارد اللازمة لشن هجمات واسعة النطاق على ناقلات النفط، إذ لم يكن لديها ما يكفي من الطائرات المقاتلة بعيدة المدى أو الصواريخ المضادة للسفن لضرب السفن العراقية بفعالية، علاوة على ذلك، كانت البحرية العراقية تسيطر على الخليج العربي، مما حد من قدرة إيران على شن هجمات بحرية تقليدية، يُضاف إلى ذلك انشغال إيران بالدفاع عن أراضيها ضد الغزو العراقي، وما إن بدأت تتكيف مع الضغوط الناتجة عن العمليات العسكرية البرية حتى بدأت تفكر في موازنة الكفة في الناحية البحرية، لكنها اصطدمت بالقيود الغربية الصارمة على شراء السلاح، ما جعلها تلجأ إلى الصين لشراء صواريخ "سيلكوورم" أرض سطح و "سي كيلر "سطح - سطح، بالإضافة إلى تكتيكات الحرب غير المُتماثلة عبر كثافة استخدام الزوارق الصغيرة والألغام البحرية، غير المُكلفين، وقد نجح الخلط بين هذه التكتيكات الثلاثة، والتي يُمكن وصفها بالرخيصة، غير التقليدية والفعالة في تكبيد العراق والدول العربية خسائر كارثية، دفعت بالعراق لاحقًا للتوقف عن مُهاجمة السُفن العراقية، لإقناع إيران بالتوقف، وهو ما لم يحدث حتى تلقت إيران ضربة قاسمة هددت قدراتها على الاستمرار في الحرب، يوضح الشكل التالي تصنيفات الهجوم بأنواع السلاح المُختلفة:

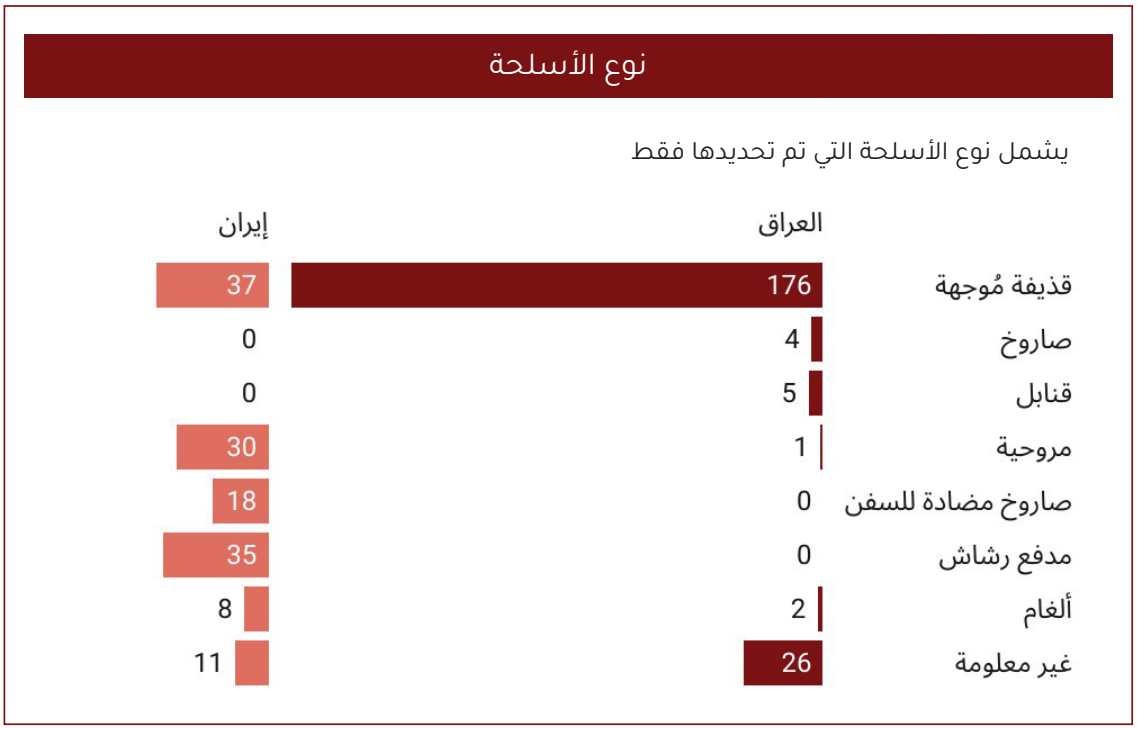

ويُشير إجمالي ما سبق بشكل واضح إلى أن إيران تلقت الضربات خلال السنوات من ١٩٨١ وحتى ١٩٨٤، حتى تستطيع بناء قُدراتها، في ظل القيود الغربية ما جعلها تلجأ إلى طُرق بديلة غير مُكلفة تُعادل بها الكفة، الأمر الذي يُمكن أن يُفسر السلوك الإيراني الحالي بعد اغتيال إسماعيل هنية، بعدم الرد، نظرًا لعدم امتلاك إيران قُدرات الرد الهجومية الذاتية الفعالة، ولا إمكانيات الدفاع الجوي ضد الطائرات والمُسيرات الإسرائيلية، الأمر الذي جعلها تلجأ إلى روسيا للحصول على منظومات S400 لتعزيز موقفها في مواجهة القدرات الإسرائيلية، من المُفيد كذلك النظر إلى جنسية أعلام السُفن التي تلقت الضربات، التي يوضحها الشكل التالي:

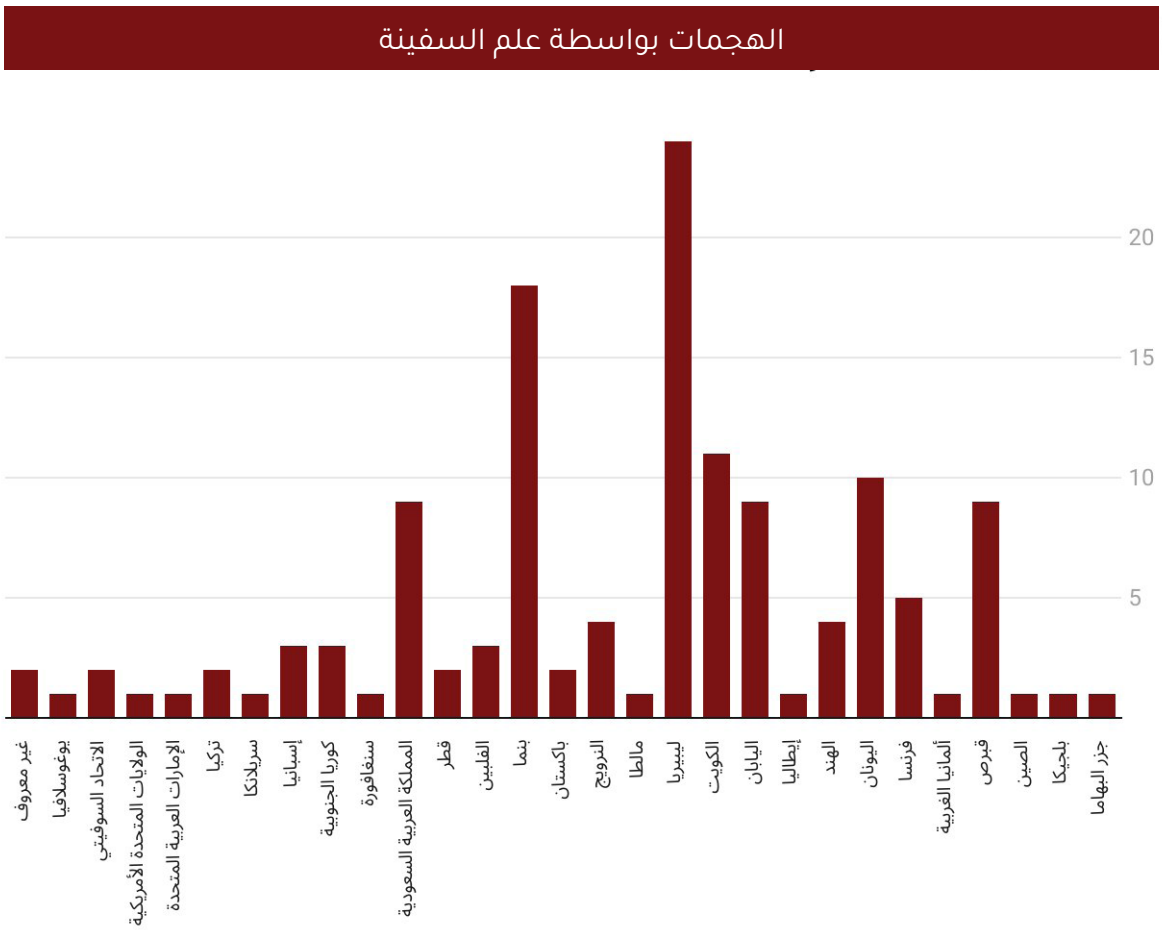

* قد تختلف الملكية حسب العلم المسجل.

** البيانات من يونيو إلى ديسمبر

يوضح الشكل أن الهجمات الإيرانية طالت ٢٩ دولة وفقًا لعلم السفينة لكن هذا العدد قد يرتفع إذا نظرنا إلى المالك الفعلي، حيث تميل شركات السُفن في الغالب إلى تسجيل سُفنها في ليبريا والبهاماس وبنما واليونان -لأسباب تتعلق بالإعفاءات الضريبية، وتكلفة طواقم الخدمة، وسهولة إجراءات التسجيل مُقارنة بمُعظم الدول- إذ لم تقع جنسية هذه السُفن في إقليم واحد بل طالت مُعظم دول العالم بما فيها الولايات المُتحدة والدول الغربية والاتحاد السوفيتي، التي شكلت القوى الكُبرى في ذلك الوقت، بل إن الهجمات استهدفت سفينة صينية، في ذات الوقت التي زودت فيه إيران بالصواريخ كما سبق، لا بد كذلك من الإشارة إلى أن الولايات المُتحدة وفرت الحماية لهذه السُفن وصاحبتها بداية من يوليو ١٩٨٧ ضمن عملية الإرادة الجادة (Earnest Will)، ولم يحل ذلك دون مُهاجمتها من جانب إيران.

وفي حين أن إيران اتخذت ما يُشبه ذات السلوك في الوقت الحالي عبر وكلائها من جماعة الحوثيين في اليمن، وذلك بإعاقة الملاحة في باب المندب، مُنذ أشهر عديدة ما أسفر عن تأثر حركة الملاحة في البحر الأحمر بشكل حاد، إلا أنها لن تكون راغبة في تنفيذ ذات السلوك سواء باستهداف الملاحة في الخليج، أو خارجه أو حتى إعاقة الملاحة فيه، باستخدام قواتها مُباشرة في الوقت الحالي، بسبب التهدئة التي تدخل فيها مع جيرانها، من ناحية ومن ناحية أخرى توافر قواعد للقوات الأمريكية يُمكن استهدافها بسهولة سواء بنفسها أو عبر وكلائها في كُلٍ من العراق وسوريا، في حال أرادت إيران توجيه ضربات عقابية بعد اشتراك الولايات المُتحدة في الهجوم أو الدفاع مع القوات الإسرائيلية.

أخيرًا فإنه عند إلقاء نظرة على تتابع الهجمات خلال النصف الثاني من عام ١٩٨٧ وحتى نهاية الحرب في أغسطس ١٩٨٨، يتضح أن إيران نفذت خلال هذه الفترة هجمة كل ثلاثة أيام في المتوسط، وذلك بعد أربعة أعوام من الحرب، يستعرض الشكل التالي وتيرة الهجمات الإيرانية خلال الفترة الموضحة:

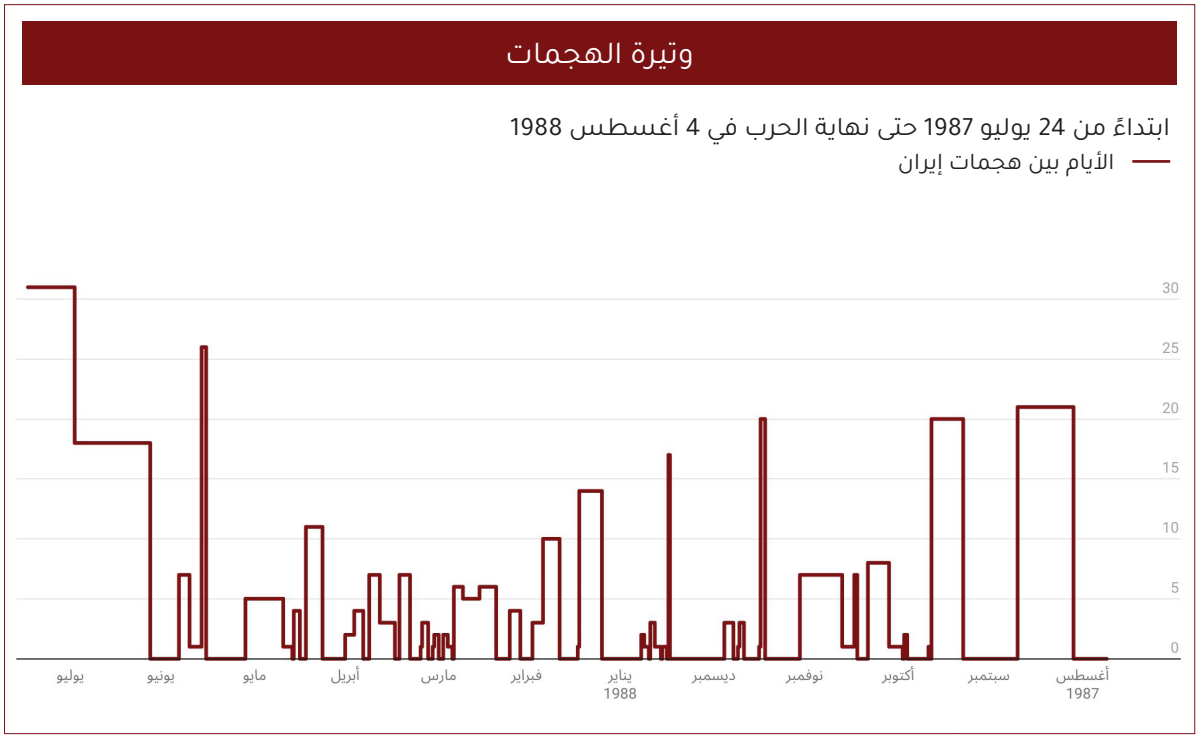

يُشير الشكل إلى أن إيران خلال حربها اتبعت سياسة النفس الطويل في الرد، واستنزفت عبر رفع التكاليف العسكرية والسياسية خصمها حتى استطاعت في النهاية إجباره على التوقف، ولولا تدخل الولايات المُتحدة الأمريكية لكانت استمرت الهجمات الإيرانية حتى نهاية الحرب.

رابعًا - نمط الرد الإيراني المُتوقع

من مجموع ما سبق يُمكن الخروج بالترجيحات التي لا تنصب على حدوث رد إيراني من عدمه، ولكن تتباين الرؤى حول نمطه وتوقيته بمعني أن الرد قادم ولكن الاختلاف حول كيف و متي وأين؟

وفي هذا الصدد يمكن الخروج بعدد من التوقعات التي يمكن الاسترشاد بها عند محاولة فهم ما هو قادم من الجانب الإيراني في الرؤي التالية:

من المتوقع حدوث رد إيراني مُباشر على الاعتداءات الإسرائيلية، لكن مع مُراعاة التالي:

- التأجيل لا يعني التراجع بل يحمل حرص الجانب الإيراني على الاستعداد الجيد قبل الدخول في مواجهة سريعة ومندفعة وغير محسوبة، وهو ما وصفته السطور السابقة عندما طرحت كيف استغرقت مدد أطول في الرد، ولكن طول المدة لم يثنيها عن القيام بهجوم مضاد، ولكن لحشد القدرات المطلوبة وإضافة مزيد من القدرات الهجومية وفي السياق الراهن نرجح أن إيران تسعي الآن للحصول على مسيرات ذات مدي أطول وصواريخ أسرع ونقل هذه الأسلحة إلى مناطق إطلاق أكثر ملائمة تمكن وكلائها من إحكام السيطرة عليها وإطلاقها.

- الاستعداد جيدًا قبل المواجهة، وهو ما يؤخر الرد الإيراني حتى الآن، ونحن نعتقد أن فترة الاستعداد ستمتد لأطول من ذلك رُبما لشهور، وذلك لحشد القدرات المطلوبة لتقليل أثر الضربات الإسرائيلية، وإضافة مزيد من القدرات الهجومية، وخصوصًا مُسيرات أطول مدى، وصواريخ أسرع، ونقلها إلى أراضي وكلائها.

- استنادا إلى التحليل السابق لوحظ نمط متكرر متمثل في حرص إيران على إدخال أسلحة جديدة لدوائر صراعها عند الرد مثل أنواع أقوى من المُسيرات والصواريخ، المُنخفضة التكلفة نسبة إلى صواريخ الدفاع الجوي الإسرائيلي.

- إيران لن تكون المركز استنادًا إلى ما سبق من المرجح أن الرد رغم مباشرته لن يخرج من الأراضي الإيرانية وإنما قد يأت من لبنان و/ أو اليمن بشكل أكثر ترجيحًا، ومن العراق وسوريا بشكل أقل احتمالًا، وسيكون بقوات وبأسلحة إيرانية، وذلك لتفادي استعداء الشركاء الإقليميين المُحتملين خصوصًا المملكة العربية السعودية، وفي نفس الوقت تفادي الدفاعات الجوية الأمريكية المُحتشدة في الخليج العربي والعراق وسوريا، بما يُصعب وصول الصواريخ والمُسيرات إلى وجهاتها، وبما يضمن كذلك الحفاظ على عنصر الردع الإيراني لإسرائيل، والريادة الإيرانية لمحور المُمانعة.

- الرد لن يكون بضربة واحدة أو بنمط سيناريو الرد في إبريل الماضي، بل قد يشمل الرد عمليات عسكرية متوالية يصل مداها الزمني لشهور، ولن تنتهي إلا بالتوصل لاتفاق تهدئة في غزة، ولبنان إن بدأت إسرائيل عملية عسكرية فيها.

- بعد الرد المُباشر قد ينخرط الوكلاء في حرب طويلة الأمد، بشن هجمات مُستمرة تستنزف الجيش والاقتصاد الإسرائيلي، لفترات طويلة تنهكه، وتجبره على الدخول في تسوية واسعة مع المحور.

- ستتفادى إيران بكل السبل الدخول في صدام مُباشر مع الولايات المُتحدة الأمريكية، حتى لا تدفع الأخيرة للرد عليها، خصوصًا بعد درس عمليات فرس النبي، لكن ذلك لن يمنع إيران من مُهاجمة إسرائيل كما سبقت الإشارة.

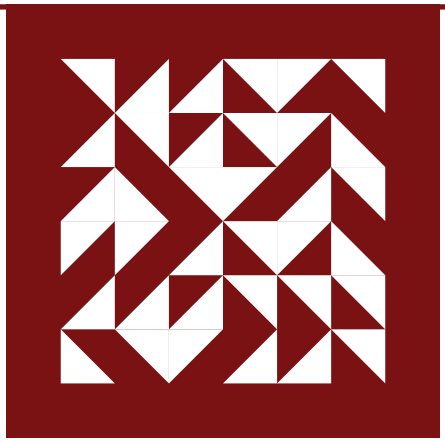

مركز الحبتور للأبحاث

تقديرات استراتيجية

عن المركز

يسعى مركز الحبتور للأبحاث إلى أن يكون مركزًا رائدًا للتميز في الدراسات السياسية والاقتصادية والإنذار المبكر في المنطقة، وتتمثل رؤيتنا في تعزيز السياسات وصنع القرارات المستنيرة المبنية على الأدلة التي تُعزز التنمية المستدامة، وتقوي المؤسسات، وتعزز السلام والاستقرار الإقليميين. نحن ملتزمون بتقديم حلول مبتكرة للتحديات الأكثر إلحاحًا في المنطقة من خلال البحث والتحليل والحوار.

تقديرات استراتيجية

إصدار غير دوري يصدر عن مركز الحبتور للأبحاث، يقدم تحليلاً معمقًا وتقييمًا مستقبليًا للقضايا السياسية والاقتصادية الإقليمية والدولية ذات التأثير الاستراتيجي على المنطقة العربية والعالم. بهدف تزويد صناع القرار والباحثين والمهتمين برؤية مستنيرة حول التطورات والتحديات والفرص الناشئة.